جهود محمد بن شنب ومنهجه في التحقيق

د/محمد زيوش– جامعة الشلف–

لقد شهد العصر الحديث حركة عربية دؤوبة لإحياء التراث، والكشف عن دفائنه، وبخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وإن كان المستشرقون هم السبّاقون إلى هذا العلم الجديد القديم على العرب، جديد من حيث إنّ فضل السبق كان لهم في نشر تراثنا العربي، وتنبيهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا، والتي لو لم يكن فيها: " **نفع وغناء لحضارة الغرب ما صرفوا [إليها] كلّ العناية**"[1] والقديم من حيث إنّ الباعث على هذا العلم عند العرب المسلمين هو الحاجة الشرعية التي دفعت بعلماء أصول الحديث والجرح والتعديل إلى وضع قواعد دقيقة وصارمة بغرض توصيل الحديث النبوي الشريف إلى الأمة الإسلامية خاليا من الشوائب، فكان أن أثمر هذا الجهد الضارب في القدم قواعد يتبعها المحقق في التثبت من صحة النّص وتحقيق رواياته وجمع النسخ والمقابلة بينها وتعيين طرق التصحيح، فكانت قواعد قيّمة في تحقيق المخطوطات، استفاد منها الغرب في تحقيق النصوص اليونانية واللاتنية[2]، وبما أنّ المخطوط هو السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجته عصارة أفكار العقل العربي الإسلامي، كان للمحقق – الذي تتمحور مهمته على وجه العموم في "**إخراج النصِّ المحقَّقِ على وفق ما حرّره صاحبه، أو إثبات النصِّ على صورة أقرب ما تكون إلى حقيقته وأصله**"[3]– مسؤولية أكبر من مسؤولية الباحث الذي يجد النصّ جاهزا فينطلق منه لتقرير الكثير من الحقائق، وكان تراث الأمة العربية الإسلامية جزءا أصيلا من كيان وجودها، وخزانتها العلمية وسرّ حضارتها، حتى قال الجاحظ في هذا المقام: "**يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره، ولولا ما أودعت لنا الأوائل من كتبها، وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا**

---

[1] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1(1984م)، ص:273.

[2] عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1(1994م).ص:17–18.

[3] عباس هاني الجراخ، مناهج تحقيق المخطوطات (دراسة وتوثيق)، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط1(2010). المقدمة.

بها ما غاب، وفتحنا بها كل مستغلق، فجمعنا قليلنا إلى كثيرهم، وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم لما حسن حظنا من الحكمة"[4]**، وهذه الحاجة تفرض** على المحقق التزام منهاج علميّ دقيق ، فكثر مما خرج إلينا في عصرنا الحاضر على أنّه محقّق يحتاج إلى وقفة تقويم وتصحيح، فالقوس لما تعطى لغير باريها يظهر القصور والخروج عن المنهج العلمي القويم، مرّة استخفافا – عن جهل وعصبية ضده – بالمنهج الذي اتبعه المستشرقون في تحقيق التراث العربي، ومرّة أخرى تجرُّأً جاهل بما يتطلبه المقام من قدرة، واستعداد، وتمرس، ودراية[5]، فكان اختلاف الطرق سمة بارزة في التحقيق العربي.

وإذا كان التحقيق في الوطن العربي صاحب الوعي القومي العربي بعد اطلاع العرب على منجزات الغرب بعد حملة نابليون، وظهور الطباعة والمطابع حيث كان أوّل ظهور للمطبعة بلبنان ثم بمصر سنة 1821(مطبعة بولاق) ثم بدمشق سنة 1864م، وما رافقها من نشر للمخطوطات التراثية الذي امتاز باعتماد النسخة الواحدة وابتعاد صورته عن المنهجية العلمية سببا في ظهور التصحيح الذي كان يثبت على أغلفة هذه الكتب وهو عمل قريب من التحقيق تكفّل به كوكبة من المحققين الرّواد الذين هم في الأصل من النساخ الثقات القائمين على نشر الكتب التراثية من مثل الشيخ نصر الدين الهوريني (ت 1291هـ) والشيخ محمد قطة العدوي (ت1281هـ) و رفاعة الطهطاوي (ت1290هـ)[6]، والجزائر التي تمّ السكوت عن ريادة جهود علمائها في مجال تصحيح وتحقيق التراث تعدّ واحدة من أوائل البلدان العربية التي انصبّ اهتمام علمائها بتحقيق ونشر التراث العربي الإسلامي، كنوع من المقاومة الثقافية سعيا من علمائها إلى الحفاظ عن هوية هذا الشعب الذي حاول الاستعمار طمسها عن طريق التجهيل، ومحمد بن شنب واحد من أشهر هذه الكوكبة الرائدة في مجال التحقيق في الوطن العربي التي شملت عددا غير قليل من محققين في تلك الفترة المبكرة ، فزيادة على أنّه كان شاعرا أديبا، كانت أبحاثه في مجال التحقيق التي استنفذت كلّ جهده عديدة

---

[4] الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الحيوان، د ط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة) ط2، 1965م،ج 1، ص:85.

[5] ينظر: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص: 47-55.

[6] ينظر: عباس هاني الجراخ، مناهج تحقيق المخطوطات (دراسة وتوثيق).ص: 17-18.

ومتنوعة، فهو الرجل الذي جمع إلى جانب ثقافته العربية الإسلامية الثقافة الغربية، وكان يحسن عدّة لغات كاللاتنية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والفارسية والتركية والفرنسية التي كان يتكلّم بها بطلاقة[7]، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الثقافة الفرنسية لم تفعل فعلها فيه بشهادة محمد كرد الذي يقول فيه لما شاهده في مؤتمر المستشرقين في أكسفورد:" **شاهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين وهو بلباسه الوطني: عمامة صفراء ضخمة، وزنار عريض، وسراويل مسترسلة، ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالما من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافة إسلامية، أو عالما من علماء السلف جمع الله له بلاغة القلم وبلاغة اللسان ووفر له قسطا من العلم والبصيرة، وقد فطر على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل، وقيّض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ ويفصح في كلّ لغة بمعانيها**"[8] وهو الذي قال فيه تلميذه محمد سعيد الزاهري بأنّه وجده عالما جزائريّا غير متجنّس بالفرنسية، وغير مقصّر في الفرائض[9]، بخلاف ما ذهب إليه تلميحا الأستاذ أبو القاسم سعد الله حين الحديث عن علاقة بن شنب بالمستشرقين والتي يراها قد أثرت " **على أسلوبه في الكتابة وحتى على انتمائه السياسي**"[10].

ولعلّ الذي ساعده على امتلاك المنهاج العلمي في التحقيق هو **وجوده في جامعة الجزائر كأستاذ، ومخالطته للدّوائر الاستشراقية الفرنسية المهتمة بتحقيق التراث الجزائري المخطوط، وترجمته، ونشره، وبخاصة الجمعية التاريخية الجزائرية** التي كان لسان حالها "**المجلة الإفريقية**"[11] الساعية إلى خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي، وعلى

---

[7] عادل نويهض, معجم أعلام الجزائر, بيروت, مؤسسة نويهض الثّقافيّة, ط2, 1400/ 1980, ص: 189.

[8] . محمّد كرد علي, المعاصرون, بيروت, دار صادر, ط2, 1993م, ص: 338.

[9] ينظر: . محمّد السعيد الزاهري, محمّد بن أبي شنب, مقالة نشرت في المقتطف سنة 1929, مأخوذ عن كتاب صالح الخرفي, سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ,محمّد السّعيد الزّاهري, ص: 138.

[10] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1(1983م)، ص: 75.

[11] تعدّ المجلة الافريقية " Revue africaine " من أهم المصادر التاريخية التي اعتنى بها الفرنسيون (على الخصوص) بالتاريخ والتراث العربي عامة ، المغاربي خاصة والجزائري على وجه التخصيص.
صدرت هذه المجلة عن "الجمعية التاريخية الجزائرية " التي تأسست في 07 أفريل 1856 على يد بيربروجر (Berbrugger) الذي سيكون لنا معه وقفة خلال استعراض بعضا من عيون هذه المجلة.

الرغم من ذلك فقد ساهمت هذه الجمعية في تحقيق نتائج علمية ساهمت بشكل إيجابي في إرساء قواعد المنهج العلمي في التحقيق بالجزائر، ويعد كلّ من رينيه باسيه، وهنريه ماسيه، والفريد بيل، وليفي بروفنسال من أشهر روادها.

وترك لنا عميد المحققين الجزائريين(1869م – 1929م) ما يربو عن خمسين مؤلفا كما أحصاها تلميذه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي[12]، ويكون بذلك شيخ المحققين العرب قد أسهم بتقريب التراث الجزائري والعربي الإسلامي إلى القارئ في وقت مبكر جدا من حركة التحقيق العربية في العصر الحديث. وستسعى هذه المداخلة إلى إبراز جهود محمد بن شنب ومنهجه في التحقيق.

منهجه في التحقيق:

1. منهج التصحيح في للرحلة الورثيلانية:

ظهر العدد الأول من المجلة سنة تأسيس الجمعية (1856) واستمرت بالصدور سنويا ، حتى سنة 1962 (تاريخ استقلال الجزائر) ... ولم تنقطع سوى في فترتي الحربين العالمبتين ، ليبلغ مجموع أعدادها الستة بعد المائة (106. (

اهتمت المجلة بجميع مناحي التراث و الثقافة والتاريخ والاجتماع في المجتمع الجزائري (على الخصوص) ، وقد كتب فيها كبار المستشرقين الفرنسيين كباصيه Bassetوشربونو Cherbonneau ومرسييه Mercier و دو سلان De Slane وبيربروجر وفانيان Fagnan و موتيلانسكي... Motylanski وغيرهم

كما ساهم فيها نخبة من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر أبرزهم محمد بن أبي شنب ذائع الصيت...

أحاول خلال هذا الملف عرض بعض من فوائد المجلة ، سيما تلك المتعلّقة بالتراث العربي الإسلامي..

كما أشير إلى أنه يمكن تحميل الأعداد السبعين الأولى من الموقع التالي :

http://www.algerie-ancienne.com/livres/Revue/revue.htm

[12] نكتفي هما بذكر بعض الأعمال التي حققها فقط:

عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية للغبريني 1910

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية 1920

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية .

وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي r مع تعليقات عليه.

شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 1926

طبقات علماء أفريقية لأبي ذر الخشني مع ترجمة فرنسية 1915

تقع الرحلة الوارثلانية الموسومة "**نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار**"[13] لصاحبها العلامة الحسين بن محمد السعيد المعروف بالورثلاني (ت1194هـ) في سبعمائة وثلاث عشرة صفحة، زيادة على خمسة وستين صفحة خصصت للفهارس، وطبعت في جزء واحد امتاز بالضخامة سنة 1908م بمطبعة بيير فونتانا بالجزائر العاصمة، علما أنّها طبعت من قبل ، وبالضبط في سنة 1903م بتونس طبعة حجرية مصححة على يد الشيخين علي الشنوفي والأمين الجريدي، تفتتح بمقدمة من تأليف محمد بن أبي شنب، امتازت بأسلوب غلب عليه السجع على الرغم من خلو أسلوبه في عمومه من التأنق والزخرف اللفظي، وهذا تأكيد منه على اقتداره في خوض ضروب السّحر والبيان ودون الإخلال بالمعنى المراد توصيله ، على الرغم من ضيق وقته، وتأثره بالكتابات الاستشراقية التي تنزع إلى العلمية أكثر، حتى قيل فيه إنّه معجم متحرك، وهذه شهادة تدحض فكرة القول بعجزه البياني[14] ولعل هذا الاهتمام المبكر بتصحيح وطبع هذه الرحلة على الرغم من ضخامتها يبيّن أهميتها بالنسبة الجزائريين بصفة خاصة والعرب بصفة عامة، إذ تعدّ أحد أهم مصادر تاريخ الجزائر وتاريخ الوطن العربي، حوت تراجم العديد من الشخصيات، إلى جانب الوقائع التاريخية، والأوصاف الجغرافية، وهو ما وضّحه محمد بن شنب في مقدمته حين تحدث عن أهمية الرحلة بالنسبة للإنسان، وعن شرعيتها في الدين الإسلامي، فقال موضّحا المقاصد الكبرى من اختيار هذا الكتاب دون غيره ورعايته بالتصحيح والطبع بأنّه:" **أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر**. **وأعلق**

---

[13] طبعت الرحلة بمطبعة بيير فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1321هـ (1908)، وجاءت في جزء واحد ضخم، ووصل متن الرحلة إلى سبعمائة وثلاثة عشر صفحة (713ص)، وأعيد نشر الرحلة مرة أخرى بدار الكتاب العربي، بلبنان، سنة 1394هـ (1974م) اعتمادا على نسخة ابن أبي شنب.

[14] يلاحظ المتتبع لأعمال ابن أبي شنب، بساطة أسلوبه، واعتماد الزخرفة اللفظية في مواضع قليلة أهمها مقدمات رسائله الإخوانية، ينظر:

ينظر :- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص، ص. 77، 78.

- صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، .ص: 136 .

تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد، وفرائد الفوائد، ونسق كالأوصاف الكاملة، وحلّ المسائل الشاكلة تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد...."[15] ولما كان هذا المصنف بهذا الوصف غدا " **مطمح الأنفس، وغاية التأنس، أمر سمو الوالي العام (جونار) بطبعه، لتعميم نفعه**" [16]

وفي سعيه هذا اعتمد بن شنب –كما ذكر في مقدمة الرحلة – على المقابلة بين ثلاث نسخ مخطوطة ذات خط مغربي، منها نسختان مقابلتان مع نسخة منقولة من مسودة المؤلف، ويعود تاريخهما إلى القرن الثاني عشر الهجري (18م) وتحديدا عام 1182هـ (1768م)،أمّا الأولى فمجموع صفحاتها 642 صفحة في كلّ صفحة من 21 إلى32 سطرا تقع في 33 كراسة غير مخيطة ، تتخللها أوراق مرفقة، والثانية مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جميل، مجموع الأوراق فيها هو 253 صفحة، وفي كل صفحة 21 سطرا، و31 كراسة غير مخيّطة تتخللها أوراق مرفقة، أما النسخة الثالثة، فهي مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح من شهر شعبان عام ألف ثلاثمائة وثلاثة عشر هـ (1895م)، مجموع صفحاتها 640 في 73 كراسة غير مخيّطة، تتخللها أوراق مرفقة، في كلّ صفحة 30 سطرا، جاءت بخط مغربي غير جيّدة، كما اعتمد على نسخة رابعة حجرية، اعتبرها ابن أبي شنب مخطوطة، وهي مكتوبة بخط مغربي حروفه مطموسة في بعض المواضع، وقد طبعت بتونس في ثلاثة أجزاء سنة 1321هـ(1903م) بعد تصحيحها من قبل الشيخين: علي الشنوفي، والأمين الجريدي، وتضمنت النسخة حاشية صالح بن مهنا القسنطيني، جاءت غير واضحة، وأكثر حروفها منطمسة[17].

وأتبع مصححنا المقدمة بمقدمة ثانية عنونها بـ"**ترجمة المصنف**"، وهي بقلم عبد القادر بن محمد الصغير ناسخ الرحلة، وفي هذه الترجمة يتعرّف القارئ على الرحالة الحسين

---

[15] الورثيلاني، سيدي الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانا ، الجزائر، ط1(1908).ص: مقدمة المؤلف.

[16] المصدر نفسه، المقدمة.

[17] المصدر نفسه، المقدمة.

الورثيلاني، وعلى أهم كتبه، والمجالات التي نبغ فيها، ويرد بعد المقدمتين متن الرحلة الورثيلانية، متبوعا بفهارس مختلفة وهي :

1: الفهرست الأوّل لأبواب الكتاب.

2: الفهرست الثاني لأسماء الرجال والنساء والقبائل.

3: الفهرست الثالث لأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار.

4: الفهرست الرابع لأسماء الكتب.

5: الفهرست الخامس القوافي.

وما يمكن قوله هو أنّ الجهد الذي قام به ابن أبي شنب من أجل تصحيح هذا العمل الضخم لا يقلّ أهميّة عن مهمة المحقق، فلقد صرف المصحح فيها وقتا وجهدا كبيرين، إذ حاول تحري الصواب بمقابلته للنسخ التي توفرت لديه، من خلال قراءتها حاول تحري الصواب فيما يأتي به المؤلف من معارف وأخبار، فنبّه إلى مواضع الأخطاء والتصحيفات والزيادة والنقصان في النسخ، ووضع الفهارس اللازمة في نهاية المطاف، وهذا ما قام به هذا العالم الجليل، وإن كان هذا العمل الجبّار فيه بعض النقص، كما يرى الأستاذ **مختار فيلالي** **رغم جهود محمد بن أبي شنب في تصحيحها، فإنّنا نجد " الذي قال في هذا العمل: فيها كثيراً من الفراغات لم يستطع سدّها وعبارات كثيرة محرفة وفقرات لا وجود لها في بعض النسخ، بينما توجد في بعضها ولكنها مختلفة في الترتيب من حيث المكان ممّا يبعث على الشكّ فيها بأنّها ليست للمؤلّف، إذ ربّما زادها بعض الناسخين لغرض أو حذفت لهدف كذلك. وقد شوّهت هذه التحريفات والفراغات جملاً كثيرة .معيّن ممّا سبّب في ضياع أو غموض المعلومة التاريخية (وقد ظهرت طبعة جديدة في بيروت لدار الكتاب العربي، في 1974م، وهي إعادة لطبعة ابن شنب)، دون زيادة أو نقصان ما عدا ذكر كلمة الناشر..."**[18].

والواجب علينا أن نراعي الظرف التاريخي الذي أنجز فيه هذا العمل، زيادة على اعتراف المحقق نفسه الذي يقول موضحا ذلك: "وقد بذلنا في التصحيح غاية الجهد مع أننا معترفون بأننا لم نبلغ منزلة تسمو عن النقد. ولا سيما كون الأصول التي

18 مختار بن طاهر فيلالي، رحلة الورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، د.ت، ص، ص. 51، 52.

راجعناها عند الطبع مختلفة الروايات مضطربة العبارات. وقد تعذر علينا كثيرا إصلاح التصحيف والتحريف بعد مراجعة عدة من التآليف. وما العصمة والكمال إلا لذي القدر والجلال"[19] وهذا لا ينفي أبدا الجهد الحثيث الذي بدله المصحح من أجل تقديم عمل متقن، بدأ بالمصادر التي حرص على مقارنتها بما هو موجود في الرحلة، مقدّما التصويبات للأخطاء المكتشفة في النقل، كما نبّه على مواضع الحذف، والتحريف، ومواضع التقديم والتأخير، كما قام المصحح بتقديم المعلومات الإضافية ، فأغلب صفحات الرّحلة الورثيلانية لا تعدم من مثل هذه التصويبات والتنبيهات، والإحالات إلى مصادر النصوص، والمدعمة بالمعارف الإضافية هي أصلا من مخزون ابن أبي شنب العلمي والثقافي، زيادة على نقل كم هائل من الأخبار عن كتب جغرافية وتاريخية، ودينية، وهو الرجل العالم الذي راجع منقولات الورثيلاني من رحلتي العياشي (أبو سالم) والدرعي(الناصر)، وكتب أخرى كمروج الذهب في معادن الجوهر للمسعودي، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، ومعالم الإيمان لابن ناجي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وتنبيه المغتربين للشعراني، وكذلك قام بتخريج بعض الأحاديث اعتمادا على صحيحي مسلم والبخاري، وعنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني، ومعالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان لأبي زيد الدباغ القيرواني، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، زيادة على الدواوين الشعرية، وهو عمل يحقق من خلاله قارئ الهوامش والفهارس فوائد جمة.

وما يميز عمل التصحيح هذا هو تدعيم المصحح للمتن بكثير من التوضيحات الخاصة بما جاء ضمن النسخ المعتمدة في التصحيح، وبعض التصويبات، والشروح المتصلة ببحوث المصحح، وزاده العلمي والثقافي، فنتعرّف حقا على مدى سعة معارف ابن أبي شنب الأدبية، والدينية، والتاريخية، ولعلّ العمل الأكثر أهمية، الذي أنجزه ابن أبي شنب هو تصنيف تلك الفهارس الفنية الضخمة، التي استغرقت أزيد من مائة صفحة، قدمت قوائم لأسماء الرجال والنساء والقبائل(قاربت 1800 اسما)، وأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار(تجاوزت 700

---

[19] الورثيلاني، سيدي الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، المقدمة.

اسما)، وأسماء الكتب (تجاوزت 330عنوانا)، وختم هذه الفهارس بفهرس خامس للقوافي، وضّح معها بحر القصيدة وصفحة ورودها (تجاوزت140قافية).

ومع كل ما ذكر من محاسن التصحيح للرحلة الورثيلانية، نسجّل هنا بعض الهنات فيه، وهو ما لا يخلو منه أي عمل على الإطلاق، وقد نبّه دارس الرحلة الورثيلانية مختار بن طاهر فيلالي على بعضها حيث قال: **"رغم جهود ابن أبي شنب في تصحيحها، فإننا نجد فيها كثيرا من الفراغات لم يستطع سدّها، وعبارات كثيرة محرفة، وفقرات لا وجود لها في بعض النسخ، بينما توجد في بعضها، ولكنها مختلفة في الترتيب من حيث المكان مما يبعث على الشك فيها بأنها ليست للمؤلف إذ ربّما زادها بعض الناسخين لغرض معيّن، أو حذفت لهدف كذلك، وقد شوهت هذه التحريفات والفراغات جملا كثيرة مما تسببت في ضياع أو غموض المعلومة التاريخية أو تحريفها."**[20] مثلما نبّه الكاتب إلى الخطأ الذي وقع فيه ابن أبي شنب في عنونة فصول الرحلة وموضوعاتها؛ حيث لم ينتبه لما نقله الورثيلاني من عناوين عن المصادر، وجعلها ابن أبي شنب عناوين الرحلة الورثيلانية.

كما نلاحظ نقصا لدى تعيين ابن أبي شنب لمواضع الاختلاف بين النسخ؛ إذ لا يوضح النسخ بدقة، لأنه لم يرقمها، أو يضع لها رموزا في بداية عمله مثلما هو معهود، فنجده يعلّق قائلا: في نسخة كذا وفي نسخة كذا، ولا نعلم أيضا سبب عدم وضعه لقائمة أخرى تخص فهرس الآيات والأحاديث، رغم حرصه على تصنيف فهارس مختلفة أخرى ضخمة.

2. منهج التصحيح في كتاب البستان:

أمّا كتاب البستان في ذكر أولياء تلمسان لصاحبه الشيخ أبي عبد الله محمد بم محمد بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي، الذي يقع في ثلاثمائة وثمانين صفحة، مشمول فيها مقدمة المؤلف والفهارس، زيادة على بيان للأخطاء والصواب، وطبع في جزء واحد سنة

[20] مختار بن طاهر فيلالي، رحلة الورثلاني- عرض ودراسة، ص. 53.

1908م بالمطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه سنة 1326 هجرية الموافق لسنة 1908 ميلادية، افتتحه صاحبه بمقدمة قصيرة لا تتجاوز الصفحتين، امتازت بالإيجاز، والنزوع العلمي، فيها تحدث الكاتب – بعد البسملة والتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم – عن دوافع تصحيح وطبع هذا الكتاب حيث يقول:"**بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين /أما بعد/ فلما كان الكتاب المسمى 'البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان' للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي أصلا التلمساني منشأ ووفاة رحمة الله تعالى من أعظم المؤلفات في تراجم العلماء والسادات، بادرنا إلى طبعه لتعميم نفعه"**[21] ولأنّه كتاب " **ترجم الأولياء والعلماء بتلمسان واحدا بعد واحد، ونشر على الأفكار من أخبارهم مايزري بالقلائد، ولم يدع من أنبائهم شيئا إلا أحصاه...، ولادقيقة إلا جمعها برباطه، مع سلامة العبارة ولطافة الأسلوب وحسن الإشارة، فجاء كما يرام على أبدع منوال"**[22].

ومن أجل هذا التحقيق بذل بن شنب جهدا كبيرا في جمع النسخ "**منها نسخة لمكتبة المدارس العليا الجزائرية محفوظة تحت عدد 2001، ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتيم تحت عدد 1736، و1737 ونسخة للسيد وليام مرصي مدير مدرسة الجزائر الدولية ونسخة للفقيه الشيخ لبن ددوش أحمد بن حامد قاضي معسكر الحالي ونسخة للفقيه الشيخ الحاج المختار بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف من زاوية الهامل بقرب أبي سعادة ونسخة للعلامة سيدي علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ونسخة للفقيه السيد الونوغي المفتي ببلد الأصنام"**[23] زيادة على نسخة أمده بها الشيخ **بروفنسالي** المدرس بكلية وهران .

---

[21] ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، مراجعة الشيخ محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية (الجزائر)، سنة 1908.ص:

[22] المصدر مفسه، ص:

[23] المصدر نفسه، ص:

وحرصا منه على تحري التصحيح قام بمراجعة بعض الأصول كما فعل في الرحلة الوارثلانية ونقل عنها المؤلف من مثل نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي السوداني، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون، وروضة النسرين في ذكر دولة بني مرين لأبي محمد عبد الله بن عمر الشهير بابن الأحمر وكتاب وفيات الخطيب القسنطيني وغيرها من الكتب...

ولم يتبع مصححنا المقدمة بمقدمة ثانية لترجمة المِصَنِفِ كما فعل في الرحلة الورثلانية، بل أورد متن الكتاب مباشرة بعد المقدمة القصيرة التي تقع في صفحتين ليشغل الكتابَ من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الخامسة عشرة بعد المائة الثالثة ، متبوعا بفهارس مختلفة شغلت خمسا وستين صفحة وهي :

1: الفهرست الأوّل خاص بالأعلام والتراجم.

2: الفهرست الثاني لأسماء الرجال والنساء والقبائل.

3: الفهرست الثالث لأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار.

4: الفهرست الرابع لأسماء الكتب.

5 بيان الخطأ والصواب.

وتميّز هذا التصحيح كسابقه بتدعيم المصحح للمتن بالكثير من التوضيحات الخاصة بما جاء في النسخ المعتمدة في التصحيح على الرغم من أنّ المصحح لم يبيّن حالة النسخ كما فعل في تصحيح الرحلة الورثلانية، ولعل العمل المهم الذي قدّمه زيادة على التصحيح هو تلك الفهارس التي استغرقت خمسا وستين صفحة، قدم فيها المصحح أربعة فهارس، أوّلها فهرس الأعلام والتراجم الذي أورد فيه 254 ترجمة، زيادة على فهرس به قوائم لأسماء الرجاء والنساء، ورد فيه 1082، وفهرسا آخر خاص بالأماكن به 194 اسما خاص بأسماء البلدان والجبال و الأنهار...و آخرا خاص بالكتب ورد فيه 672 عنوانا، وختم ابن شنب تصحيحه ببيان لإصلاح الأغلاط الطبعية التي رفعت في هذا الكتاب في صفحتين.

3. منهج التصحيح في كتاب الجمل :

أمّا كتاب الجمل للزجاجي الذي اعتنى عالمنا بتصحيحه وشرح أبياته، فإنّه يقع في أربع مائة وصفحتين بما في ذلك المقدمة التي وقعت في إثني عشرة صفحة والفهارس التي وقعت في سبع عشرة صفحة، والذي طبع في مطبعة **جون كربونال** بالجزائر سنة 1926م، فقد اعتمد فيه على مقابلة ثلاث نسخ :

النسخة الأولى موجودة في المكتبة الدولية بالجزائر تحت رقم 38، كتبت بخطّ مغربي ،حسن ومشكول، بتاريخ 745 هجرية، مقاسها 29 على 59، تقع في مائة وثمانية وعشرين ورقة، طولها مائتين مليمتر، وعرضها مائة وثلاث وثلاثين ميلمتر، في كلّ صفحة خمسة عشر سطرا.

أمّا النسخة الثانية فموجودة في نفس المكتبة تحت رقم 39، كتبت كذلك بخطّ مغربيّ، يرى المحقق أنّه يمكن أن يكون من القرن العاشر الهجري، بها نقص في عدّة مواضع، مع بعض الحرق الذي أصاب مداد بعض الأوراق، تقع في واحد وتسعين ورقة طولها 313 ميلمتر في 148، وفي كلّ صفحة 21 سطرا.

ونسخة ثالثة مستنسخة من عشرين سنة من تاريخ التحقيق (غير محدد) عن أصل صحيح في مقابلته مع غيره.

وصونا للأمانة العلمية يذيّل محمد بن شنب خاتمته بإلحاق يقول فيه:" **قد فاتنا سبحان من لا يسهو ولا ينام أنّ أذكر في ديباجة هذه الطبعة أن المستشرق الألماني يوحنس بولف طبع في ليبسك سنة 1904" مقالة افتتاحية" مشتملة على 47 صمن القطع الثمني لخّص فيها كتاب الجمل وترجم باللغة الألمانية الأربعة والستين شاهدا الأولى فقط أي إلى ص 168 من طبعتنا هذه ولم ينبّه عن تركه باقي الشواهد."**[24].

وكعادته بيّن محمد بن شنب الغرض من هذا التصحيح بقوله:" **ونرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب جامعا في هذا الباب، مغنيا الطلاب عن التطلاب، كافيا في جميع الشواهد العربية، وافيا لما يحتاج إليه في الكتب الأدبية."** [25] ، ويبيّن أثناء ترجمته

[24] الزجاجي، الجمل، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل(الجزائر) سنة 1926م. ص:383.

[25] المصدر نفسه، ص: 16.

للمؤلف ظروف تأليف الكتاب ومنافعه عبر الزمان بقوله:" **قيل إنّه صنّفه بمكة وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعا ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينتفع به قارئه وهو من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلاّ وانتفع به ولقد حصلت به منافع كثيرة لخلق لا يحصون**"[26]

وحرصا منه على توخي الحيطة في عزو الشواهد إلى أصحابها، وتصحيحها بعد التأكد منها عسى أن تكون يد الناس بدّلتها، أو خشية فعل الزمن فعله بها، عمد إلى الأصول في النحو والدواوين الشعرية، والمعاجم العربية من أجل تثبيت الشواهد النحوية وشرحها والترجمة لأصحابها، وفي هذا الصدد يقول "...**وقد تطفلنا في شرح الشواهد وتسمية القائل مع ذكر ترجمته مختصرة مستمدين بكتب الأئمة الأعلام مثل لسان العرب لابن منظور وخزانة الأدب للبغدادي والمقاصد النحوية للعيني وشرح شواهد المغني للسيوطي وشرح أبيات كتاب سيبويه للأعلام الشنتمري.**"[27]

وبخلاف كتاب البستان الذي لم يورد فيه المصحح ترجمة لمؤلف الكتاب فإنّ المصحح هنا بدأ كتابه بتقديم ترجمة وافية للزجاج تلتها مقدمته المنهجية، وما يميّز هذا التصحيح عن سابقيه هو غياب بعض الفهارس فزيادة على فهرسة الأبواب، أورد فهرسة للشعراء، وأخرى للقوافي، زيادة على الترجمات المختصرة التي ذيّلت بها حواشي المتن.

وما يمكن استنتاجه بصفة عامة حول منهج التحقيق عند محمد بن شنب ، سواء من خلال ما عرضنا له من كتب حققها محمد بن شنب، أو ما عرضه غيرنا من أساتذتنا الأفاضل، نجمله في النقاط التالية:

- إعتماد النسخ الكثيرة ، في العادة ثلاث نسخ فما فوق.
- وصف النسخ المخطوطة.
- تذييل المتن بالحواشي والشروح.
- الرجوع إلى المصادر للتخريج والتوثيق.
- تصويب أخطاء النقل والنسخ.

---

[26] المصدر نفسه، ص:11 .

[27] المصدر نفسه ، ص: 16.

- تصنيف الفهارس المتنوعة.
- النزاهة والتواضع في التحقيق.

وهذه الميزات الخاصة بمنهج التحقيق عنده تجعل أي مطلع على تحقيقاته أو تصحيحاته يدرك أنّ محمد بن شنب **"سار على درب أسلافه من العلماء المحققين الممحصين"**[28] غير أنّ الملفت للانتباه أنّ شيخنا لم يفرد فهرسا للآيات والأحاديث .

وخلاصة القول إنّ محمد بن شنب قدّم خدمة جليلة، ومساهمة عظيمة في تحقيق التراث الجزائري بصفة خاصة والعربي الإسلامي بصفة عامة، فهو الرجل الذي أحسن استعمال علمه **"وقدرته في البحث لتسليط الضوء على آثار الماضين من الجزائريين والعرب والمسلمين"**[29] **حتى قال عنه معاصروه " كان عارفاً بلوازم النقد العلمي، ونشر كتب التراث مع تواضع ووقار"**[30]